



لاحظنا في الأونة الأخيرة أن محور 'الممانعة والمقاومة' نسي شعاره التاريخي تماماً، فلم نعد نسمع تلك العنتريات القديمة، التي تهدد بمحو إسرائيل عن الخارطة، أو بمواجهة 'الشيطان الأكبر' وتكسير أنفه.

اختفى هذا الخطاب العنتري تماماً، لا بل إن الخطاب الممانع أصبح يتماهي بطريقة مدهشة مع الخطاب الامبرالي المناهض للإرهاب.

فلو قارنت الخطاب الأمريكي، الذي يحتل الساحة منذ سنوات بالخطاب السوري والإيراني والحزب اللاتي والعربي، لوجدت أن لا فرق أبداً بين الخطابين، فقد غدت نغمة 'مكافحة الإرهاب' واحدة في واشنطن وطهران ودمشق وبيروت وبغداد.

وكلنا سمع زعيم حزب الله وهو يتوعد الإرهابيين التكفيريين في سوريا بالويل والثبور وعظائم الأمور. ولا شك أن مثل ذلك التصريح نزل برياً وسلاماً على سكان البيت الأبيض، فأقاموا له بأن يمر، ويسير على بركة الله.

لم نسمع اعترافاً أمريكياً واحداً على تدخل حزب الله الصارخ في سوريا. وكيف تعرّض واشنطن، والحزب يصرح على رؤوس الأشهاد بأنه أصبح رأس حرية في المشروع الأمريكي، الذي يتصدى للإرهاب والإرهابيين في العالم.

وفي طهران اختفت الشعارات العالية ضد الشيطان الأكبر، لتحول محلها شعارات معادية جداً للتكفيريين والإرهابيين الملاعين. فجأة أصبحت إيران حاملة الشعار الأمريكي نفسه ذات الصيت. وحدث ولا حرج عن نوري المالكي في العراق، الذي ما أن حمل سيفه، وهجم على الإرهابيين في صحراء العراق حتى انهالت عليه كل أنواع الأسلحة الأمريكية الحديثة لمساعدته في ملاحقة الإرهابيين ونسفهم عن بكرة أبيهم.

أما في سوريا، فقد أصبح 'الإرهاب' النغمة الأكثر سماعاً في الخطابين السياسي والإعلامي السوري على مدى الشهور الماضية.

وقد غدت محاربة الإرهاب على الطريقة الأمريكية الشاغل للقيادة السورية.

وقد وصل الأمر بالرئيس السوري إلى التأكيد على أن مؤتمر جنيف الثاني يجب أن يتناصي المسألة السورية برمتها، ويركز على ضرورة مكافحة الإرهاب في سوريا والعالم. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن النظام السوري معروف تاريخياً بعلاقاته الوطيدة مع أمريكا والغرب عموماً في محاربة الإرهاب.

وقد كانت واشنطن ترسل له الكثير من المتهمين بالإرهاب للتحقيق معهم وتعذيبهم في السجون السورية، لأن القوانين الأمريكية تمنع التعذيب على الأرض الأمريكية.

أضف إلى ذلك أن وكالات الاستخبارات الغربية ظلت على اتصال بالمخابرات السورية في هذا الشأن حتى في عز العقوبات الغربية المفروضة على سوريا. وتتفاخر وسائل الإعلام السورية، وتتغنى، لا بل ترقص فرحاً في الآونة الأخيرة وهي تهلهل، وتطبل، وتزمر للاتصالات الكثيرة التي يتلقاها اللواء علي مملوك مدير الأمن الوطني في سوريا من نظرائه الأوروبيين في ما يخص محاربة الإرهاب.

هل يا ترى كانت ‘الممانعة والمقاومة’ مجرد مهمة أوعزت بها أمريكا إلى حلف ‘المقاومين والممانعين’ أن يقوموا بها على مدى العقود الماضية للضحك على شعوبهم ولترسيخ أنظمة حكمهم بموجبها، وقد آن الأوان الآن لاستبدالها بمهمة أخرى بعد أن انفضح أمرها، ولم تعد قابلة للتداول في بورصة السياسات والعنترات والأكاذيب الدولية؟ الله وأعلم!

وفي هذا السياق أريد أن أنقل حرفيأ رسالة لكاتب سوري يكتب باسم ‘حسان السوري’ يوجهها لبشار الأسد حول هذا الانتقال التاريخي من مرحلة ‘المقاومة والممانعة’ إلى حقبة محاربة ‘الإرهاب’: ‘تقول يا سيادة الرئيس إنك تحارب الإرهاب، وهذه الحرب تحتاج لوقت طويلاً.. يعني سيادة الرئيس: كم سيطول هذا الوقت؟

وكم ولادة تريد أن تجدد لنفسك بحجة الوقت الطويل، الذي تحتاجه للقضاء على الإرهاب؟

قبل هذه المرة حكمتنا ثلاثة وأربعين سنة بحجة محاربة إسرائيل، واستعادة فلسطين، وتوحيد العرب، والتصدي للمشروع الصهيوني – الأمريكي في المنطقة، واستعادة الجولان الحبيب، فكانت النتيجة صمتاً كاملاً استمر ثلاثة وأربعين سنة عاشت فيها إسرائيل أزهى عصورها، ومسحت الأرض بكرامة السيادة الوطنية، واحتربت الأجيال السورية لعديد المرات، وقصفت سوريا مراراً، لا بل كانت الطائرات الإسرائيلية تحلق فوق قصركم كالعصافير، وأنتم كالزوج المخدوع: آخر من يعلم.

ولم نسمع منكم إلا التنديد، والاحتفاظ بحق الرد، بينما جيشكم الباسل جاهز لتدمير سوريا إذا ظن أن فيها معارضأً أعزل، أو تلميذاً مشاغباً!

لماذا تحولون سيادة الرئيس إلى حمل وديع عندما تهاجمنا إسرائيل، بينما تمدون مدننا عن خارطة سوريا بوحشيتكم النازية عندما تطالب فقط بزيادة جرعة أو كسجين الحرية؟

أما فلسطين، التي وعدتم باسترجاعها، سيادة الرئيس، فزادت سيطرة المحتل الإسرائيلي على أراضيها خلال الثلاثة وأربعين عاماً.

أليست فلسطين بالنسبة لكم مجرد مكياج تضعونه فوق وجوهكم، عندما تريدون تمثيل دور عروبي، أو ستر فضيحة من فضائلكم، أو تحويل هزيمة لحقت بكم إلى نصر مبين، فتضعون مكياج فلسطين للحظات، وتقفون على المسرح للضحك على الشعوب، ثم تسارعون لإزالته فور انتهاءكم منه؟

هل شاهدت يا سيادة الرئيس صور الجوعي والمحاصرين في مخيم اليرموك الفلسطيني في ‘قلب العروبة النابض’، دمشق؟!

ولا ننسى نكتة توحيد العرب، فنشكركم على تفريق الشعب السوري إلى تسعمئة ألف وستمائة وخمسين طائفة وملة وفصيل وشرينة ومنذهب، فما بالك بتوحيد العرب.

أين تصديكم للمشروع الصهيوني- أمريكي، فحيائني يمنعني من ذكر التسهيلات التي قدمتموها لهم لإتمام مشروعهم بمنتهى الإخلاص. أما الجولان، فلو استعدت سنتمترًا واحدًا منه على مدى ثلاثة وأربعين عامًا لكونت أول من يرفع لك القبة. ثلاثة وأربعون سنة كانت أسوأ حقبة عرفتها سوريا. أين مشروعكم القومي؟

أرجوكم أن تنهوا هذه المهزلة، وصارحونا بأنكم تحكموننا بالقهر، كما صارح سيف الإسلام القذافي شعبه، حين قال: 'لو أردنا ان نجري انتخابات لفزنا بنسبة مائة وعشرين بالمائة. لا داعي للانتخابات المزورة، فنحن نحكمكم بقوة السلاح'.

إنها صراحة قذرة.. صحيح، ولكنها أشرف مليون مرة من المتأخرة بالشعارات، التي تخرج منكم طيلة ثلاثة وأربعين عاماً. هل مطلوب منا الآن، سيادة الرئيس، بعد أن نزعم قناع المقاومة والممانعة بأن نعاني عقوداً أخرى من القهر والقمع والطغيان بحجة محاربة الإرهاب؟

وأخيراً: كيف للإرهابي أن يدعى محاربة الإرهاب؟

هل شاهدتم آلاف صور التعذيب المسربة من سجونكم لآلاف السجناء الوطنيين؟

ألم تصفها وسائل الإعلام العالمية بـالهولوكوست السوري؟

القدس العربي

المصادر: